

مفاهيم القرآن

(166) أَعْرَضَ عَنْ هَـذَا وَاسْتَعْذِرَ لِدَعْوِكَ إِنْ زَكَّ كُنْتَ مِنْ
الْخَاطِئِينَ). (1) نرى أن العزيز يخاطب أوّلًا امرأته بقوله: (إِنَّهُ مِنْ كَذِبِكُنَّ) وقبل أن يفرغ من كلامه معها، يخاطب يوسف بقوله: (يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَـذَا) ... ثم يرجع إلى الموضوع الآخر ويخاطب زوجته بقوله: (وَاسْتَعْذِرَ لِدَعْوِكَ) ... فقوله (يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَـذَا) جملة معترضة وقعت بين الخطابين، والمسوّغ لوقوعها بينهما كون المخاطب الثاني أحد المتخاصمين، وكانت له صلة تامّة بالواقعة التي رفعت إلى العزيز. والضابطة الكليّة لهذا النوع من الكلام هو وجود التناسب المقتضي للعدول من الآخر إلى الثاني، ثم منه إلى الآخر، وهي أيضًا موجودة في المقام، فإنّه سبحانه يخاطب نساء النبي - صلّى الله عليه وآله وسلم - بالخطابات التالية: 1. (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) . 2. (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن ...) . 3. (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الآخرى) . فعند ذلك صح أن ينتقل إلى الكلام عن أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا وذلك لوجهين: 1. تعريفهنّ على جماعة بلغوا في التورع والتقوى، الذروة العليا، وفي الطهارة عن الرذائل والمساوئ، القمة. وبذلك استحقوا أن يكونوا أسوة في الحياة وقدوة في مجال العمل، فيلزم عليهن أن يقتدين بهن ويستضيئنّ بضوئهم. 2. التنبيه على أن حياتهنّ مقرونة بحياة أمّة طاهرة من الرجس ومطهرة من الدنس، ولهنّ معهم لحمة القرابة ووصلة الحسب، واللازم عليهن التحفّظ على شوّون هذه القرابة بالابتعاد عن المعاصي والمساوئ، والتحلّي بما يرضيه سبحانه ولاجل ذلك يقول سبحانه: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء)، وما هذا إلّا لقربتهنّ منه - صلّى الله عليه وآله وسلم - وصلتهنّ بأهل بيته. وهي لا تنفك عن المسوولية الخاصة، فالانتساب للنبي الأكرم - صلّى الله عليه وآله وسلم - ولبيته الرفيع، سبب المسوولية ومنشوها، وفي ضوء

(1) يوسف: 28 - 29.